الأوصاف العشر

لِلطَّائِفَةِ المَوْعُودَةِ بِالتَّمْكِينِ وَالنَّصْرِ

للشيخ

محمد بن سعيد الأندلسي

سراج الطريق

رسالة

الأوصاف العشر

لِلطَّائِفَةِ المَوْعُودَةِ بِالتَّمْكِينِ وَالنَّصْرِ

للشيخ

محمد بن سعيد الأندلسي

العنوان: الأوصاف العشر للطائفة الموعودة بالتمكين والنصر
الكاتب: محمد بن سعيد الأندلسي (أبو همام الإدريسي)
الناشر: سراج الطريق
الصفحات: ٤٤ صفحة
المقاس: ١٧.٦ × ٢٥ سم

الأَصْدَارُ الأَوَّلُ

ربيع الأول
١٤٤٧هـ




بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الناشر

نضع بين يدَي القارئ هذه الرسالة وهي ثمرة سلسلة صوتية نافعة، قدّمها الشيخ في ثلاثة أجزاء، فرأينا أن نفرّغها إلى نصّ مكتوب؛ لِما فيها من الخير والفائدة.

وقد أجرينا بعض التعديلات كإصلاح العبارات وتقديم وتأخير الفقرات وعزو النقول إلى مراجعها وغير ذلك من التحسينات المعمول بها في الإصدارات الجديدة من موادّه المكتوبة، ممّا يزيد المعنى وضوحًا وسهولة دون تغيير في المضمون.

وغايتنا تقريب الفائدة للقارئ، ونشر العلم النافع، سائلين المولى أن يجعلها خالصةً لوجهه الكريم، وأن ينفع بها كاتبها وسامعها وقارئها وناشرها، إنّه ولي ذلك والقادر عليه.



تمهيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين، أمّا بعد:

فإنّ سنّة التدافع بين الحق والباطل ماضية إلى قيام الساعة، والله جل جلاله يستعمل في كل قرن من يحمل همّ هذا الدين، ويبذل في سبيل نصرته لإقامة صرح المسلمين في الأرض. وقد بيّن الله في كتابه، أنّ خلوّ الزمان من المُدافِعين والمُناجِزين إذنٌ بفساد الأرض، فقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾[١]. روي عن مجاهد، أنّه قال: «وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ بِجُنُودِ الْمُسْلِمِينَ وَسَرَايَاهُمْ وَمُرَابِطِيهِمْ، لَغَلَبَ الْمُشْرِكُونَ عَلَى الْأَرْضِ فَقَتَّلُوا الْمُؤْمِنِينَ، وَخَرَّبُوا الْمَسَاجِدَ وَالْبِلَادَ»[٢].

إنّ سُكون المسلمين وتخلّيهم عن التدافع، هو عين الهلاك والفساد، وسبب ذهاب الدين واضمحلال الولاء والبراء؛ كما قال تعالى: ﴿إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾[٣]، قال ابن جُريج: «إِلَّا تَعَاوَنُوا وَتَنَاصَرُوا فِي الدِّينِ ﴿تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾»[٤].

---

[١] سورة البقرة: ٢٥١
[٢] موسوعة التفسير المأثور لمركز الدراسات – دار ابن حزم: برقم ١٠٠٩٦
[٣] سورة الأنفال: ٧٣
[٤] تفسير الطبري – دار التربية والتراث: برقم ١٦٣٥١

ذلك فساد الدين، وضياع الأمر، وانهيار المشروع الإسلامي. ومن هنا، فإنّ فالواجب على المسلمين اليوم العمل على إعداد جيل التمكين؛ الجيل الذي يقيم دين الله تعالى، والذي يستحق النصر والاستخلاف في الأرض.

وسنَعرض بحول الله أوصاف هذا الجيل المنشود المَستوجِب للنصر والتمكين والاستخلاف في الأرض؛ لننظر في أنفسنا وأحوالنا وما نحن عليه، فنعمل جاهدين على التحلّي بهذه الأوصاف وتحقيقها.

والله الهادي إلى سبيل الرشاد

مقدمة

أيها المسلمون: اعلموا أنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[١]. فلم يحدّد الله عز وجل جيلًا مختصًّا بهذا الوعد دون غيره، بل حدّد شروطًا وأوصافًا إذا ما حقّقها جيل من الأجيال في قرن من القرون، في أي زمان ومكان، فإنّ وعده سبحانه وتعالى سيتحقق له، قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[٢].

إنّ العمل على إعادة مجد المسلمين يَستوجب العمل على استكمال أوصاف هذا الجيل الموعود بالنصر والتمكين، فإذا استكمَل المسلمون هذا التوصيف، فإنّ وعد الله جل جلاله لن يتخلّف عنهم؛ مصداقًا لقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[٣].

[١] سورة الأعراف: ١٢٨
[٢] سورة النور: ٥٥
[٣] سورة الأنبياء: ١٠٥

فهذا الوعد يترقّب استيفاء شروط استدعائه، حتى يتحقق بإذن الله تعالى. ولقد اتّصف جيل الصحابة رضوان الله عليهم بتلك الأوصاف، فأوفى الله عز وجل لهم وعده، وأورثهم الأرض، ومكّن لهم فيها، وملّكهم ممالكها وقصورها وخزائنها في سنوات معدودات، ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾[١].

فحريٌّ بنا ونحن نعيش في مرحلة طمس الهوية-في النفق المظلم من تاريخ الأمّة المكلومة-، أن نتكاتف جميعًا لإيجاد المخرج بعد إيقاد السراج، عبْر العمل على إنشاء هذا الجيل الموعود بالنصر والتمكين، وأن نضحّي في سبيل إقامته بكل غالٍ ونفيس، وأن نحذو حذو الصحابة الكرام؛ حتى نُقاربهم فنسدّد، فيصيبنا ما أصابهم من الفتح والتأييد والتمكين.

إنّ الكثير من الناس يربط النصر والتمكين بالمحسوسات من الوسائل والقوة المادية فحسب، فينظر في الحسابات المجرّدة لأهل الأرض، ويعلّق عليها الوجود والفناء والنصر والهزيمة، وإذا ما رجعنا إلى حسابات أهل الإيمان في كتاب الله عز وجل وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم، نجد أنّ القوة لله جميعًا؛ فهي القوة الربانية غير محدودة المدى.

---

[١] سورة التوبة: ١١١

هي القوة الإلهية التي إذا أمدّت عبدًا من عباد الله-ولو كان ضعيفا مهانًا-، فإنّ النصر يكون حليفه لا محالة. فمن كان الله مولاه فلا غالب له من الناس، قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[١].

إنها قوة الجبّار الخالق المالك لكل شيء في هذا الوجود، الذي له جنود السماوات والأراضين، وكل من عليها تحت قهره وتدبيره وأمره وسلطانه، لا يخرج شيء عن إرادته ومشيئته، ولا يكون في مُلكه إلا ما شاء سبحانه جل جلاله.

إنّها الركن الشديد، والمعيّة الربانية التي من كانت معه لم يخِب، المعيّة التي يسعى المسلمون إلى استصحابها لإعادة البناء، والله يهيّء الأسباب ويقهر المسبّبات، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[٢]. ومع ذلك، فلا بد للمسلمين أن يجتهدوا في تحقيق الأسباب، وألّا ينتظروا الكرامات-كصنيع بعض الجماعات-.

❊ ❊ ❊

[١] سورة آل عمران: ١٦٠

[٢] سورة محمد: ٧

نقطة البدء

أيها المسلمون: إنّ الناظر في كتاب الله جل جلاله، يعلم يقينًا أنّ النصر والتمكين لا يتحقق إلا بشروط، منها قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[١]، قال قتادة: «وَإِنَّمَا يَجِيءُ التَّغْيِيرُ مِنَ النَّاسِ، وَالتَّيْسِيرُ مِنَ اللَّهِ، فَلَا تُغَيِّرُوا مَا بِكُمْ مِنْ نِعَمِ اللَّهِ»[٢].

إنّ نقطة البدء تكون بتطهير النفوس من الأهواء والأدواء؛ حتى يسهُل دخولها في جماعة المسلمين، لأنّ النفس تحب الشذوذ، ولا ترضى بأن تكون حلقة في جماعة تتلقى منها الأمر والنهي، فإلزامها بأمر الله في الاجتماع يحتاج إلى تجريدها من الأهواء. فالواجب عليها الانتقال من كل حال يُغضب الله عز وجل إلى الحال التي يرضاها.

لا بد من تغيير عميق يضرب في أعماق النفوس فيردّها إلى الله ردًّا جميلًا. لا بد من الرجوع إلى الله إن أردنا الخروج من حالة التيه التي نمرّ بها في النفق المظلم. لا بد من تخليص النفوس من شوائب الشرك والجاهلية وشِراكها، والاستقامة على الحنيفية والسنّة ولزومها.

[١] سورة الرعد: ١١
[٢] تفسير ابن أبي حاتم - مكتبة نزار الباز: برقم ١٢٢٠٢

لا بد من تحقيق الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين ولجماعة المسلمين، والبراء ممّن دونهم من الكافرين والمشركين والجاهليين ولو كانوا أقرب قريب.

لا بد للطليعة أن تكون نموذجًا يُقتدى به في تغيير حال هذه الأمّة من المرض المزمن إلى الصحة والعافية، ومن الموات إلى الحياة. لا بد لها من العمل على إيقاظ هذه الأمّة المكلومة من الغفلة المستحكمة، ودلالتها على الدواء والعلاج وأسباب الحياة والبقاء.

لا بد من وجود طائفة وعصابة تقوم بأعباء البيان والإيقاظ، طائفة تضيء السراج في الطريق البهيم؛ ليسير عليه الحيارى والتائهون ومن تعِب من الشذوذ والضياع.

وعلى قدر الجهد الذي سيبذله أبناء هذه العصابة في إيقاظ الأمّة المسلمة، والدعوة إلى الإسلام الصحيح لجموع المنتسبين، يكون من الله المدد والنصر والتأييد.

وستبدأ حتمًا تباشير الفجر في البزوغ، وتشرق شمس الإسلام من جديد في أجزاء متفرّقة من جسد الأمّة، ليقوم النزّاع من القبائل، فيحيون بكتاب الله الأموات، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

إنّ من أصعب المراحل في تاريخ هذه الأمّة، مرحلة بناء اللبنات الأولى لجيل التمكين، ولقد مرّ النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من الجيل الأوّل بمثلها وأشدّ، ولقد كان السابقون الأوّلون من المهاجرين بمثابة الركائز واللبنات التي قام عليها المجتمع المسلم في المدينة.

هذا المجتمع الفتيّ الذي تعرّض في بداية تكوينه إلى ضغط شديد، وحصار ومقاطعة، وإخراج وهجرة، وأسْر وقيد، وتعذيب وتنكيل، وقتْل، فصبَر حتى بلغ بذلك قمّة العطاء.



الأوصاف الإيمانية للجيل الموعود

نصّ كتاب الله على الأوصاف التي إذا ما استكملَتها الطائفة المسلمة في أي زمان، استجلبَت النصر وتيسّرت لها أسباب التمكين. وقد تتوفر هذه الأوصاف في أفراد متفرّقين هنا وهناك، ولكنّ هذا وحده لا يكفي؛ فإنّ النصر لا يتنزّل إلا على طائفة متماسكة مترابطة بآصرة العقيدة، قائمة بأمر الله، مجتمعة على الحق، يُظهر الله بها دينه، ويُعلي كلمته.

ولقد ذكر الله هذه الأوصاف في مواضع كثيرة من كتابه، منها:

١. التوحيد الخالص ونبذ الشرك

إنّ من أعظم هذه الأوصاف وأصلها: عبادة الله وحده، ونبذ الشرك به في جميع صوره؛ دقّه وجلّه، قليله وكثيره. قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾[١].

روي عن السدّي، قال: «هُمْ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اسْتَخْلَفَهُمْ فِي الْأَرْضِ»[٢].

[١] سورة النور: ٥٥

[٢] تفسير ابن أبي حاتم – مكتبة نزار الباز: برقم ١٤٧٦٣

فالاستخلاف في الأرض والتمكين، وتبديد الخوف بالأمن، قد علّقه الله عز وجل بقوله: ﴿يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾، وقوله: ﴿شَيْئًا﴾، هو نكرة في سياق النفي، يعمّ كل أنواع الشرك به تبارك وتعالى، سواء كان شركًا في الحُكم أو الطاعة أو العبادة -كما قد بيّنا ذلك تفصيلًا في كتاب الهداية-. فلا بد من تخليص النفوس من شوائب الشرك والجاهلية وشِراكها، والاستقامة على الحنيفية والسنّة ولزومها.

والناظر في سيرة الصحابة رضوان الله عليهم -وهُم الطائفة والعصابة والجيل الذي تحقّق فيه وعدُ الله تبارك وتعالى؛ بالاستخلاف والتمكين، والأمن بعد الخوف-، يرى أنّ مظاهر إخلاص العبادة لله قد تجلّت لديهم في أعلى مقاماتها، كما روي في تفسير قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[١]. فروي عن عبد الله بن عباس، قال: «نَزَلَتْ فِي رَجُلٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ يُقَالُ لَهُ بِشْرٌ، خَاصَمَ يَهُودِيًّا، فَدَعَاهُ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَعَاهُ الْمُنَافِقُ إِلَى كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، ثُمَّ إِنَّهُمَا احْتَكَمَا إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَضَى لِلْيَهُودِيِّ،

[١] سورة النساء: ٦٠

فَلَمْ يَرْضَ الْمُنَافِقُ، وَقَالَ: تَعَالَ نَتَحَاكَمُ إِلَى عُمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ. فَقَالَ الْيَهُودِيُّ لِعُمَرَ: قَضَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَرْضَ بِقَضَائِهِ. فَقَالَ لِلْمُنَافِقِ: أَكَذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ عُمَرُ: مَكَانَكُمَا حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْكُمَا. فَدَخَلَ عُمَرُ، فَاشْتَمَلَ عَلَى سَيْفِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَضَرَبَ عُنُقَ الْمُنَافِقِ حَتَّى بَرَدَ، ثُمَّ قَالَ: هَكَذَا أَقْضِي لِمَنْ لَمْ يَرْضَ بِقَضَاءِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ. فَنَزَلَتْ»[١]. فهكذا هو قضاء الصحابة في من لم يرضَ بحُكم الله ورسوله، وتحاكم إلى غيرهما، واتّبع غير شرعهما.

كذلك روي عن عبد الله بن مسعود، قال: «دَخَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَّةَ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِئَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ۚ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[٢]، ﴿جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[٣]»[٤].

هذا هو الجيل الذي تحطّمت على يديه الأصنام والنصُب، حتى لم يبقَ لها أثر في الضمير والوجدان والعمران. إنّه جيل الصحابة رضوان الله عليهم.

---

[١] الدر المنثور للسيوطي – دار الفكر: ٢/ ٥٨٢
[٢] سورة الإسراء: ٨١
[٣] سورة سبأ: ٤٩
[٤] صحيح البخاري – دار عطاءات العلم: برقم ٤٧٢٠

كذلك روى مسلم في صحيحه، عن أبي بُردة، عن أبي موسى الأشعري، قال: «خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَاةٍ، وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ، بَيْنَنَا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ. قَالَ: فَنَقِبَتْ أَقْدَامُنَا، فَنَقِبَتْ قَدَمَايَ، وَسَقَطَتْ أَظْفَارِي، فَكُنَّا نَلُفُّ عَلَى أَرْجُلِنَا الْخِرَقَ، فَسُمِّيَتْ غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نُعَصِّبُ عَلَى أَرْجُلِنَا مِنَ الْخِرَقِ. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَى بِهَذَا الْحَدِيثِ، ثُمَّ كَرِهَ ذَلِكَ. قَالَ: كَأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ»[١].

هذا لا شك أنّه من أعلى مراتب الإخلاص في أنفَس الأعمال، وهو ذروة سنام الإسلام: الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى.

قال ابن أبي مُلَيكة: «أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ يَقُولُ إِنَّهُ عَلَى إِيمَانِ جِبْرِيلَ وَمِيكَايِلَ»[٢].

فتحقيق العبودية لله تبارك وتعالى، وتوحيده، وإخلاص العبادة له، هو رأس الأمر كله، وبه تتسمّى الطائفة التي حققته بالطائفة المسلمة والعصابة المؤمنة، ولها يُعقد الولاء، وفيها يُسعى بالنصرة والبذل والعطاء.

---

[١] صحيح مسلم – دار الطباعة العامرة: برقم ١٨١٦
[٢] صحيح البخاري – دار عطاءات العلم: ١/ ٤٣

٢. الوسَطية وعدم الانحراف

ومن الآيات التي جاءت فيها تلك الأوصاف، قوله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[١].

قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾، يعني: أهل دينٍ وسَط بين الغلو والتقصير؛ فالغلو يعصف بالجماعة المسلمة، ويحرف الطريق نحو براثن الفرقة والشتات والضياع.

ولقد ذمّ الله تبارك وتعالى الغلو في مواضع كثيرة، منها قوله: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[٢].

وقال صلى الله عليه وسلم: «لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدَّدَ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ، فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ، ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾[٣]»[٤].

---

[١] سورة البقرة: ١٤٣
[٢] سورة المائدة: ٧٧
[٣] سورة الحديد: ٢٧
[٤] سنن أبي داود – دار الرسالة العالمية: برقم ٤٩٠٤

٣. تقوى الله وخشيته

قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ ۝١٣ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[١].

وقال تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا ۖ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ۖ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

فمن أعظم الأوصاف التي دلّت عليها هذه الآيات: تحقيق تقوى الله، وخوفه جل وعلا. خوفٌ ينبعث من الإجلال والتعظيم والمهابة له تبارك وتعالى، ويبعث كذلك الشعور بالتقصير في القيام بحقوق العبودية لله، ليحمل العبد على تحقيق التقوى، فيجعل بينه وبين عذاب الله وقاية؛ بفعل ما أمَر، والانتهاء عمّا زجَر.

روي عن عبيد الله بن عائشة، قال: «كَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَامِلٍ لَهُ: اِتَّقِ اللَّهَ؛ فَإِنَّ التَّقْوَى هِيَ الْحُجَّةُ الَّتِي لَا يُقْبَلُ غَيْرُهَا، وَلَا يُرْحَمُ إِلَّا أَهْلُهَا، وَلَا يُثَابُ إِلَّا عَلَيْهَا. فَإِنَّ الْوَاعِظِينَ بِهَا كَثِيرٌ، وَالْعَامِلِينَ بِهَا قَلِيلٌ»[٣].

---

[١] سورة إبراهيم: ١٣-١٤

[٢] سورة الأعراف: ١٢٨

[٣] مشيخة ابن البخاري لابن الظاهري – دار عالم الفؤاد: ١/ ٢٧٨

٤. الصلاح وكثرة التعبّد

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾[١]. فإنّ من أبلغ الأوصاف التي تتصف بها تلك الطائفة: تحقيق صلاح النفس، والعمل على إصلاح الغير؛ فجيل التمكين جيلٌ صالح في نفسه، متطلّع إلى إصلاح واقعه وبيئته وأمّته، جيلٌ كثير الذِّكر والطاعة والعبادة.

روي عن كثير بن عبد الله المُزَنِي، عن أبيه، عن جده: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنَّ الدِّينَ لَيَأْزِرُ إِلَى الْحِجَازِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا، وَلَيَعْقِلَنَّ الدِّينُ مِنَ الْحِجَازِ مَعْقِلَ الْأُرْوِيَّةِ مِنْ رَأْسِ الْجَبَلِ. إِنَّ الدِّينَ بَدَأَ غَرِيبًا، وَيَرْجِعُ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ الَّذِينَ يُصْلِحُونَ مَا أَفْسَدَ النَّاسُ بَعْدِي مِنْ سُنَّتِي»[٢].

وفي الأثر، أنّ هند-زوج أبي سفيان رضي الله عنهما-جاءت زوجها صبيحة فتح مكة، فقالت: «إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُبَايِعَ مُحَمَّدًا. قَالَ: قَدْ رَأَيْتُكِ تَكْفُرِينَ. قَالَتْ: أَيْ وَاللَّهِ. وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ اللَّهَ تَعَالَى عُبِدَ حَقَّ عِبَادَتِهِ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ قَبْلَ اللَّيْلَةِ. وَاللَّهِ إِنْ بَاتُوا إِلَّا مُصَلِّينَ قِيَامًا وَرُكُوعًا وَسُجُودًا...»[٣].

---

[١] سورة الأنبياء: ١٠٥

[٢] المعجم الكبير للطبراني – مكتبة ابن تيمية: ١٦/١٧

[٣] الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر – دار الكتب العلمية: ٣٤٧/٨

٥. الزهد في الدنيا

ومن النصوص الدالة كذلك على أوصاف جيل التمكين، ما روي عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا. قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيُجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنُ. قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[١]. فإنّ من أعظم العوائق التي تحُول بين العبد وبين دخوله في دائرة المعيّة الربانيّة، ما ذُكر في هذا الحديث: «وَيُجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنُ. قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الْحَيَاةِ، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

إنّ جيل التمكين زاهد في هذه الدنيا، كما قال صلى الله عليه وسلم: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا لِي وَلِلدُّنْيَا»[٢]. هو جيلٌ حقَّق العبودية لله تبارك وتعالى، وتحرَّر من قيود الجاهلية وتبِعاتها، فوضحَت عنده الغاية، وتعلَّق بصره بالسماء، فهدفه الأسمى رضا مولاه، ونصرة دينه جل في علاه.

---

[١] مسند أحمد - مؤسسة الرسالة: برقم ٢٢٣٩٧

[٢] الزهد والرقائق لابن المبارك - دار الكتب العلمية: برقم ١١٨٣

أمّا ما دون ذلك، فهو فيه زاهد، وعنه راغب، فلا يأسره شيء من حطام الدنيا وزخرفها؛ كوظيفة يخشى فواتها أو فقدانها.

جاء في السيَر، عن أبي عثمان النهدي: «أَنَّ صُهَيْبًا حِينَ أَرَادَ الْهِجْرَةَ، فَقَالَ لَهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: أَتَيْتَنَا صُعْلُوكًا حَقِيرًا، ثُمَّ أَصَبْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا الْمَالَ، وَبَلَغْتَ الَّذِي بَلَغْتَ، ثُمَّ تُرِيدُ أَنْ تَخْرُجَ أَنْتَ وَمَالُكَ؟! وَاللَّهِ لَا يَكُونُ ذَلِكَ. قَالَ: فَقَالَ صُهَيْبٌ: أَرَأَيْتُ إِنْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي، أَمُخَلُّونَ أَنْتُمْ سَبِيلِي؟ قَالَ: قَالُوا: نَعَمْ. فَخَلَعَ لَهُمْ مَالَهُ. قَالَ: فَبَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: رَبِحَ صُهَيْبٌ، رَبِحَ صُهَيْبٌ»[١].

فيه وفي أمثاله، نزل قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾[٢].

[١] فضائل الصحابة للإمام أحمد – مؤسسة الرسالة: برقم ١٥٠٩

[٢] سورة البقرة: ٢٠٧

٦. الصبر والثبات واليقين

كذلك من الأوصاف الأساسية لهذا الجيل: الصبر والثبات واليقين بموعود الله جل وعلا، قال تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُن فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَائِهِ ۖ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[١].

وقال تعالى مخاطبًا رسوله صلى الله عليه وسلم: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ فَاصْبِرْ ۖ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

لقد علم أبناء هذا الجيل طبيعة الطريق، فوطّنوا أنفُسهم على ذلك، واعتصموا بربهم، وعاهدوه على المُضي قدمًا فيه، فإمّا أن يموتوا في سبيل الله مجاهدين صابرين ثابتين على عهدهم، أو أن يصِلوا إلى هدفهم ظاهرين، قال تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[٣].

[١] سورة السجدة: ٢٣-٢٤

[٢] سورة هود: ٤٩

[٣] سورة الأحزاب: ٢٣

فالطريق الموصل إلى هدفهم لم يكُن يومًا ممهَّدًا بغير البلاء، بل هو طريقٌ طويل صعب مرير، يحتاج سالكه إلى تحمّل ما يلاقيه من ضغوطات، واجتياز ما يقابله من عقبات، والثبات أمام المحن والبلايا والنكبات. طريقٌ يقِف على جانبيه شياطين الإنس والجن، يعمَلون جاهدين على إيقاف المسير، والحيلولة دون الوصول إلى الهدف المنشود.

فهؤلاء اللبنات الصادقات هُم الذين يحملون الدعوة-وهي غضّة طريّة-مع كل الظروف والتبعات، ولا يُأمِّلون رؤية التمكين في الدنيا، بل همّهم سلوك طريق النجاة والثبات عليه حتى الممات، وما ضرّهم قلة السالكين، ولا تنكُّب المخذولين، وما زادهم الأذى المتراكم في ثنايا هذا الطريق إلا إصرارًا على المضي وعدم التردد أو الوقوف.

وهذه سنّة الله في تثبيت الدعوات وصقْل أتباعها بالابتلاء، قال تعالى: ﴿وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا ۖ وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١]؛ حتى يشتدّ عُودهم، ويقوى ساعِدهم على حمل هذه الأمانة العظيمة، والبذل لها يوم يتخلّى ويشحّ عنها الناس، فلا يضرّهم من خذلهم ولو كان كل الناس، ولا يتزعزع رسوخهم يوم تضطرب أفئدة الناس،

[١] سورة الإسراء: ٧٦

ولا يكونون كمن قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ۖ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ۖ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[١]، ولا من الذين قال فيهم: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾[٢].

بل تلك اللبنة تكون ممّن قال الله عز وجل فيهم: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[٣].

يأتي النصر بعد اليأس من الأسباب الظاهرة، بعد أداء الأمانة والصبر على تبعات هذا الأداء، وعدم طرح الدعوة ولا التملّص منها أو الحيدة عن هذا الطريق، بعد استنفاد الجهد، واستفراغ الطاقة، ورسوخ الأقدام، وثبات القلوب، وترقُّب النصر بيقين من رب العالمين: ﴿حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾[٤].

[١] سورة الحج: ١١
[٢] سورة العنكبوت: ١٠
[٣] سورة آل عمران: ١٧٣
[٤] سورة يوسف: ١١٠

حتى لا تكون الدعوة هيّنة رخيصة يدّعيها كل مدّع يريد الشرف والجاه لنفسه ودنياه، دون تحمّل التكاليف والمشاقّ العظيمة، من يريدها خفيفة سهلة ليقطف ثمارها دون عناء ولا بلاء، فإنها لم تكن كذلك يومًا ولن تكون.

ولا يزال أهل هذه الدعوة يخرجون من محنة إلى محنة، ومن بلاء إلى بلاء؛ حتى يهون عليهم كل مُصاب، ويصغر في أعينهم كل ما يُهاب، ويزداد يقينهم بموعود الله، ويَقوى صبرهم في ذات الله، وتمضي أقدامهم إلى نهاية الطريق، فتتحطّم أمام ثباتهم الفتن المتراكمة وهُم يخوضون بحرها على سفينة النجاة، فلا تميل بهم ولا تحيد عنهم مع جريِها في بحر لجِّي.

إنّ الفلاح والنجاة في الصبر على الحق، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴾[١].

ويعقب هذا الصبر واليقين: الإمامة في الدين، وسنّة التمكين، وإن طالت الأيام والأعوام والسنين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٢].

[١] سورة الأنعام: ٣٤
[٢] سورة السجدة: ٢٤

أيها المسلمون: إنّ حاجة الأمّة إلى وجود طليعة التغيير-التي تبثّ الروح في هذه الأمّة، وتُوجّه أحلامها وعاطفتها وهمّتها توجيهًا صحيحًا نحو التغيير المنشود-، هي حاجة شديدة ماسّة، بل ضرورية، دونها الهلاك في النفق المظلم.

من أجل ذلك، وجَب على المسلمين التكاتف وبذل الجهود لتكوين هذا الجيل، وإقامة الطليعة التي تسعى إلى تغيير نفسها ونيل التوفيق والتأييد الإلهي، فكرامة العباد عند ربهم تكون بمقدار تقواهم واستقامتهم على أمره، وبقدر الثبات على ذلك يحصلون على التوفيق والتأييد الإلهي.

٧. الجهاد في سبيل الله

كذلك من أهم أوصاف الطائفة الناجية، المنصوص عليها في سورة المائدة: الجهاد في سبيل الله. قال تعالى: ﴿يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾[١].

روي عن أبي هريرة، قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أُمَّةٌ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، لَا يَضُرُّهُمْ خِلَافُ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَجِيءَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ»[٢].

وفي بعض الروايات، ذُكر القتال، كقوله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ»[٣]، فإذا مُكِّنوا واجتمعوا في أرض، قاتَلوا وكرّوا على أهل الكفر الطغيان. وإن تعذَّر القتال لاستضعافهم، فهُم أهل إعداد وجهاد، والجهاد أعمّ من القتال؛ فقد يكون بالسيف والسنان، وقد يكون بالحجة والبرهان.

فمن سمات جيل التمكين، أنّه جيل مجاهد في سبيل الله تبارك وتعالى، لا يبخل بأي جهد يبذله للوصول إلى هدفه، وهو

[١] سورة المائدة: ٥٤
[٢] مسند إسحاق بن راهويه – مكتبة الإيمان: برقم ٤٥٥
[٣] صحيح مسلم – دار الطباعة العامرة: برقم ١٩٢٤

يعلم أنّ التأييد الإلهي لا يأتي إلا تبعًا للجهد البشري، كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[١].

كذلك ينبغي لأصحاب هذا الجيل، أن تدفعهم الحرقة الشديدة، والحميّة التي تملأ قلوبهم -على أحوال القلّة المسلمة وما يحدث لها من ذل وهوان لم يسبق له مثيل في غابر الزمان-، إلى نصرة هذا الدين والبذل له، فعلى المسلمين أن يتهيّؤوا للبذل وتحمّل المَشاق، وخشونة العيش، والأذى المتوقّع التعرّض له؛ ليصلوا إلى درجة التضحية بالنفس طمعًا في مرضاة ربهم تبارك وتعالى.

ولا بد لهم أن يعلموا أنّ أيّ جهد يبذلونه -مهما كان ضئيلًا-، فإنّه يمثّل خطوة مهمّة في بناء مشروع الأمّة المسلمة، وهذا ما جعل الجيل الأول زاهدًا في دنياه، واصلًا ليله بنهاره من أجل تحقيق مراده، فقد وضَع هذا الهدف نصب عينيه دون الالتفات إلى أي أمر آخر، فكان على أهبة الاستعداد لبذل ماله، ووقته، وراحته، ونفسه، والتضحية بكل شيء؛ من أجل رضا ربه، ونصرة دينه.

[١] سورة محمد: ٧

لقد كان الصحابة يعلمون بوضوحٍ هدفهم في هذه الدنيا، وأنّ الله عز وجل قد استخلفهم واختارهم لينشروا دينه، ويُخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، فانتشَروا في الأرض يدْعون إليه تبارك وتعالى، ويجاهدون في سبيله.

لم يركنوا إلى الدنيا مثلنا، ولم ينقطعوا للعبادة أو مجاورة الحرم، بل لم يقيموا في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم-مع ما في ذلك من فضل عظيم-؛ لأنهم علموا أنّ مراد الله تبارك وتعالى هو تبليغ دينه، والدعوة إليه، والجهاد في سبيله؛ حتى لا يُعبد في الأرض غيره.

وهذا كلّه يتجلّى في موقف رِبعي بن عامر-أحد الصحابة في جيش المسلمين الفاتحين بلاد فارس-، وهو يخاطب رستم قائد الفرس لمّا سألوه: «مَا جَاءَ بِكُمْ؟ فَقَالَ: اللَّهُ ابْتَعَثَنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللَّهِ. قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللَّهِ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِيَ...»[١].

[١] البداية والنهاية لابن كثير – دار هجر: ٩/ ٦٢٢

إنهم الصحابة الذين ربّاهم النبي صلى الله عليه وسلم عبْر الوقائع والأحداث، عبْر السنين المتوالية والمحن المتتالية، فعرفوا الطريق وآفاته، والمسير وعقباته.

لذلك لمّا استدلّ بعض المسلمين على من شقّ صف الكفار منغمسًا، بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾[١]، قال أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهَا نَزَلَتْ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ دِينَهُ وَنَصَرَ رَسُولَهُ، قُلْنَا: لَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا، فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ»[٢]. فمعنى الآية: لا تتركوا الجهاد فتهلَكوا. فالتهلكة هي الجلوسُ عن الحركة، ووضعُ السلاح، بعد ظهور الإسلام، وفتح مكة، وانتشار الأمن في جزيرة العرب. إنّ التهلكة هي القعود عن القتال والجهاد، والتخلي عن البذل والحركة في سبيل هذا المشروع العظيم، مشروع الأمّة والجماعة المسلمة. فكيف بمن جنح إلى السكون، وركَن إلى الرقود، عند الذلّة والخوف والضياع في هذه الجاهلية النكراء؟!
وهذا من أعظم ما حذّر منه المولى في كتابه، وعلى ذلك كان فهم سلف الأمّة في هذا المقام العظيم.

[١] سورة البقرة: ١٩٥
[٢] التفسير الوسيط للواحدي - دار الكتب العلمية: ١/ ٢٩٤

٨. حب الله ورسوله

كذلك من الآيات الدالة على وصفٍ من أوصاف الطائفة الناجية والعصابة الموحِّدة، التي يحبّها الله عز وجل، ويرضى عنها، ويكتب لها الغلبة على أعدائه، والتمكين في أرضه، قوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[١].

روي عن قتادة، قال: «أَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُ سَيَرْتَدُّ مُرْتَدُّونَ مِنَ النَّاسِ، فَلَمَّا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ، ارْتَدَّ عَامَّةُ الْعَرَبِ عَنِ الْإِسْلَامِ إِلَّا ثَلَاثَةَ مَسَاجِدَ-أَهْلَ الْمَدِينَةِ وَأَهْلَ مَكَّةَ وَأَهْلَ الْجُوَاثَا مِنْ عَبْدِ الْقَيْسِ-، وَقَالَ الَّذِينَ ارْتَدُّوا: نُصَلِّي الصَّلَاةَ وَلَا نُزَكِّي، وَاللَّهِ لَا تُغْصَبُ أَمْوَالُنَا. فَكُلِّمَ أَبُو بَكْرٍ عَنْ ذَلِكَ لِيَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ، وَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لَوْ قَدْ فُقِّهُوا أَدَّوُا الزَّكَاةَ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أُفَرِّقُ بَيْنَ شَيْءٍ جَمَعَهُ اللَّهُ، وَاللَّهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَيْهِ. فَبَعَثَ اللَّهُ عَصَائِبَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ، فَقَاتَلُوا حَتَّى أَقَرُّوا بِالْمَاعُونِ، وَهُوَ الزَّكَاةُ. قَالَ قَتَادَةُ: فَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ وَأَصْحَابِهِ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾، إِلَى آخِرِ الْآيَةِ»[٢].

---

[١] سورة المائدة: ٥٤

[٢] موسوعة التفسير المأثور لمركز الدراسات – دار ابن حزم: برقم ٢٢٨٥٩

وقال الله تبارك وتعالى في موضع آخر: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾[١]. وهذا كمال الحب؛ حتى يصبح الله أحب إليهم من كل شيء سواه، ولا يزال المحبّون الصادقون يحرصون على إرضاء ربهم، ويتقرّبون إليه بالقربات حتى يحبّهم، فإذا أحبّهم نصَرهم وأظهرَهم على عدوّهم.

والترجمة العمليّة لحُب الله تبارك وتعالى، تتمثّل في طاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، واتّباعه في ما جاء به. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾[٢].

قال ابن كثير: «هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ حَاكِمَةٌ عَلَى كُلِّ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ وَلَيْسَ هُوَ عَلَى الطَّرِيقَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَإِنَّهُ كَاذِبٌ فِي دَعْوَاهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ حَتَّى يَتَّبِعَ الشَّرْعَ الْمُحَمَّدِيَّ وَالدِّينَ النَّبَوِيَّ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَأَحْوَالِهِ...»[٣].

قال الحسَن البصري وغيره من السلف: «زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ، فَابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾»[٤].

---

[١] سورة البقرة: ١٦٥

[٢] سورة آل عمران: ٣١

[٣] تفسير ابن كثير – دار الكتب العلمية: ٢/ ٢٦

[٤] تفسير ابن كثير – دار الكتب العلمية: ٢/ ٢٧

ومن علامات الحب الصادق المثمر للظهور والتمكين: أن يكون الله ورسوله أحَب إلى المسلم ممّا سواهما، فكل محبوب آخر -كالأزواج والأولاد والآباء والأمهات والمتاع- ينبغي أن يكون تابعًا لهذا الحُب، لا يزاحمه ولا يعارضه؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[١].

ولقد تعارضَت هذه المحبّة مع محبّة القرابة في معركة بدر؛ فهمّ الصدّيق بقتل ابنه، وقتَل الفاروق خاله، وقتَل أمين الأمّة أباه المشرك. وفيهم نزل قوله تبارك وتعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٢].

[١] سورة التوبة: ٢٤
[٢] سورة المجادلة: ٢٢

ويتجلّى تمكُّن حب الله عز وجل في قلوب الصحابة عند الهجرة من مكة إلى المدينة؛ فلقد تركوا ديارهم وأموالهم ومتاعهم، وهاجروا فرارًا بدينهم امتثالًا لأمر ربهم ورسوله صلى الله عليه وسلم.

٩. الولاء للمسلمين والبراء من المشركين

ومن الأوصاف الواردة كذلك في سورة المائدة -التي جمعت بين محبة الله عز وجل، ومحبة أوليائه، والبراءة من المشركين-، قوله تبارك وتعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾[١]، ثم قوله بعدها: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[٢].

روي عن علي بن أبي طالب، قال: «﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾: أَهْلُ رِقَّةٍ عَلَى أَهْلِ دِينِهِمْ. ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾: أَهْلُ غِلْظَةٍ عَلَى مَنْ خَالَفَهُمْ فِي دِينِهِمْ»[٣].

كذلك روي عن السدّي، في قوله: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٤]، قال: «أَخْبَرَهُمْ -يَعْنِي الرَّبُّ تَعَالَى ذِكْرُهُ- مَنِ الْغَالِبُ، فَقَالَ: لَا تَخَافُوا الدَّوْلَةَ وَلَا الدَّائِرَةَ...»[٥].

فخفضُ الجناح للمسلمين والذلّة لهم، دليلٌ على تواضع صاحبه وصحّة إيمانه ودينه؛ حيث يظهر منه ذلك في سلوكه وتعاملاته مع ربه ومع المسلمين ومع نفسه.

[١] سورة المائدة: ٥٤
[٢] سورة المائدة: ٥٥
[٣] تفسير الطبري - دار التربية والتراث: برقم ١٢٢٠٣
[٤] سورة المائدة: ٥٦
[٥] تفسير الطبري - دار التربية والتراث: برقم ١٢٢١٥

ولقد وصَف الله الجيل الأوّل، فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾[١].

قال السمعاني: «وَقَوْلُه: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ﴾، أَيْ: غِلَاظٌ شِدَادٌ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾. ﴿رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، أَيْ: مُتَوَادُّونَ وَمُتَوَاصِلُونَ بَيْنَهُمْ، وَهُوَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾»[٢].

عن أبي ذر، قال: «خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: أَتَدْرُونَ أَيُّ الْأَعْمَالِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ قَائِلٌ: الصَّلَاةُ وَالزَّكَاةُ. وَقَالَ قَائِلٌ: الْجِهَادُ. قَالَ: إِنَّ أَحَبَّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ: الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»[٣].

وعن عبد الله بن مسعود، قال: «قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، أَيُّ عُرَى الْإِسْلَامِ أَوْثَقُ؟ قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُ اللَّهِ أَعْلَمُ. قَالَ: الْوَلَايَةُ فِي اللَّهِ: الْحُبُّ فِي اللَّهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ»[٤].

إنّه الولاء والبراء: الحب في الله، والبغض في الله. العمود الذي تقوم عليه الجماعة المسلمة، وبدونه ينفرط عِقدها، ويُهدم أساسها، ويُشتّت شملها.

---

[١] سورة الفتح: ٢٩

[٢] تفسير السمعاني – دار الوطن: ٥/ ٢٠٩

[٣] مسند أحمد – مؤسسة الرسالة: برقم ٢١٣٠٣

[٤] السنن الكبرى للبيهقي – دار الكتب العلمية: برقم ٢١٠٦٩

١٠. الأخوّة الإيمانية

وختام هذه الأوصاف: تحقيق الأخوّة في الله بين المسلمين، فيكونون كالجسد الواحد، إذا مسّه أذًى أو ضُرٌّ تداعى له سائر الجسد بالسّهر والحمّى، كما أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم.

قال البخاري رحمه الله تعالى: «بَابُ إِخَاءِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ»، ثم روى بسنده عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن جدّه، قال: «لَمَّا قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، آخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ مَالِي نِصْفَيْنِ، وَلِيَ امْرَأَتَانِ، فَانْظُرْ أَعْجَبَهُمَا إِلَيْكَ فَسَمِّهَا لِي أُطَلِّقْهَا، فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا. قَالَ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، أَيْنَ سُوقُكُمْ؟...»[١].

إنّ الطائفة المنصورة ليست مجرّد أفراد متناثرين هنا وهناك لا يشعر أحدهم بالآخَر، بل هي طائفة مترابطة متآخية، كالبنيان المرصوص يشدّ بعضه أزر بعض، كما أخبر بذلك صلى الله عليه وسلم، وكما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾[٢].

---

[١] صحيح البخاري – دار عطاءات العلم: برقم ٣٧٨٠

[٢] سورة الصف: ٤

فالأخوّة والحب في الله، والولاء للمسلمين والمؤمنين، هي من أوثق الروابط التي تجمّع بين أفراد هذه الطائفة؛ ليشكّلوا جميعًا صفًّا واحدًا متلاحمًا لا اعوجاج فيه. فتشتدّ وتشتدّ حتى تصِل إلى معانٍ راسخة في القلوب.

إنّ هذا الترابط الذي ينبغي أن يكون بين أبناء الجيل الموعود، له دَور كبير في تحقيق الأهداف المنشودة؛ فهو وسيلة عظيمة لحماية الأفراد من الفتور أو التأثّر السلبي بقوة المُعارِض، وكذلك يعينهم على الثبات ومواصلة المسير، ومن خلاله يكون التنافس على الخير والتواصي بالحق وبالصبر.

وتأمَّل وصْف الله تبارك وتعالى للأنصار، وكيف كان تعاملهم مع إخوانهم المهاجرين، حيث آثروهم على أنفسهم في أموالهم ومنازلهم بما ليس لهم غنًى عنه، فضربوا بذلك أروع الأمثلة في الأخوّة في الدين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[١].

❊ ❊ ❊

[١] سورة الحشر: ٩

خاتمة

إنّ هذه الأوصاف العشر، إذا تحقّقت في طائفة، لازَمها نصر الله تبارك وتعالى، ومعيّته، وتوفيقه، فيكرمهم بالتمكين في الأرض. ولا شك ولا ريب أنّ مرحلة التمكين هي مرحلة الإثمار، وهي آخر المراحل في الإنبات، ويسبق ظهور هذا الأمر مراحل كثيرة من الرعاية والعناية والصيانة، فلا بد أن نزرع بذرة طيّبة، ونعتني بها، ونسقيها، ونصونها، فإنّ تلك من أهم المراحل للمسلمين.

كذلك، فإنّ هذه الأوصاف لا تظهر إلا من خلال عمل دؤوب، وبناء مستمر، وتغيير يتصاعد تدريجيًّا، حتى تظهر الأزهار، وتينع الأثمار. تحتاج إلى جهاد جهيد للنفس، وثورة داخلية في نفوسنا، حتى يرانا الله تبارك وتعالى على ما يحِب، فيتفضّل علينا بما نحِب.

عَهْدِي إِلَيْكَ مِنَ الْغَرِيبِ وَفَاؤُهُ ... لِلَّهِ نَصْرُ الدِّينِ مَا أَحْيَانِ
لَأُجَاهِدَنَّ عِدَاكَ مَا أَبْقَيْتَنِي ... وَلَأَنْسِفَنَّ صُرُوحَهُمْ بِبَيَانِ
لَأَكْشِفَنَّ عَوَارَ تَلْبِيسِ الْوَرَى ... سَأُعِيدُهَا بَيْضَاءَ مِثْلَ زَمَانِ
ذَاكَ اللِّوَاءُ لَيُرْفَعَنَّ بِحَقِّهِ ... عَلَى جَمَاجِمِنَا يُرَفْرِفُ ثَانِ
فَالْعِزُّ يُؤْخَذُ بِالسِّلَاحِ وَيُشْتَرَى ... مِنْ رَبِّنَا بِالْبَذْلِ دُونَ تَوَانِ

اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، وألّف بين قلوبهم، وأصلح ذات بينهم، وانصرهم على عدوّك وعدوّهم، واهدهم سبل السلام، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وجنّبهم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، واجعلهم شاكرين لنعمك، مُثنِين بها عليك، واقبل منهم وأتمّها عليهم.

اللهم انصر دينك وكتابك وعبادك المؤمنين، اللهم أظهر دينك دين الهدى ودين الحق. اللهم عذّب الكفار والمنافقين، الذين يصدّون عن سبيلك، ويبدّلون دينك، ويعادُون عبادك الموحّدين. اللهم خالف بين كلمتهم، وشتّت بين قلوبهم، واجعل تدميرهم في تدبيرهم، وأدِر دائرة السوء عليهم.

اللهم أنزل بأسك الذي لا يُرد عن القوم المجرمين. اللهم مُنزل الكتاب، ومجري السحاب، وهازم الأحزاب، اهزمهم وزلزلهم، وانصرنا عليهم يا رب العالمين. اللهم أعنّا ولا تُعن علينا، واهدنا ويسّر الهدى لنا، وانصرنا على من بغى علينا.

اللهم اجعلنا شاكرين ذاكرين، مَطاويع إليك مُخبِتين، أوّاهين منيبين. اللهم تقبّل توبتنا، واغسل حَوبتنا، واهدِ قلوبنا، وثبّت حجّتنا، واستر سَخيمة صدورنا، يا رب العالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تمّت الرّسالة

إنّ العمل على إعادة مجد المسلمين
يَستوجب العمل على استكمال أوصاف
هذا الجيل الموعود بالنصر والتمكين
فإذا استكمل المسلمون هذا التوصيف
فإنّ وعد الله جل جلاله لن يتخلّف عنهم
مصداقًا لقوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي
الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا
عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾

